

بيسان وأثارها

﴿ جغرافيتها ﴾ - بيسان مدينة واقعة في منخفضات سهل إزدرايون أو مرج ابن عامر Eadyrafun يسكنها ١٥ ألف نسمة معظمهم إسلام وهي قنبة قضاء يعرف باسمها الآن ، قائمة عند الكيلو التاسع والخمسين من خط حيفا - درعا ، في الجنوب الشرقي من المرج المذكور وسطحها منخفض ١٣٠ متراً عن سطح البحر. ولا يزورها احدنا الآن إلا ومحملاً معه عند رجوعه منها ذكرى الجمر الشديد فيها والبعوض المنتشر فرق مستنقعاتها وهذا رغماً عن الاعمال الجليظة التي قامت بها الحكومة الحالية لتخفيف وطأة الملائيا فيها . غير انه لا بد له وخصوصاً إذا ما رجع إلى تاريخها الحافل بالحوادث التاريخية الا ان يقف متحيراً عند ما يعرف انه كان لها شأن خطير في تاريخ فلسطين من قديم الزمان. وبالرغم من هذا كله لم تجرؤ الجمعيات العلمية على طلب رخصة للتنقيب عن أثارها إلا بعد أن احتل الانكليز هذه البلاد لانها كانت ملكاً خاصاً للسلطان عبد الحميد

﴿ الحفريات وبيسان ﴾ وكان اول من نال امتياز التنقيب بعنة متحف جامعة بسلطانيا بفلادلفيا سنة ١٩٢١ وكان من العيب ان تقوم البعثة المذكورة بالحفر والتنقيب عن كل آثار المصريين الروماني والبيزنطي في المدينة لانه عمل شاق جداً وإنما حضرت التل المسمى بتل الحصن Tel El Husn وهو تل يرتفع عن سطح الارض (٢) ٢٥٠ قدماً تقريباً وكذلك المقبرة التي تمتد على الشاطئ الشمالي من نهر جلود Jald ، والاراضي التي تقع حول بيسان خصبة جداً حتى انها كانت تنتج كناناً اشتهر في العالم القديم

دانت الحفريات الحديثة أن المدينة كانت قائمة من قبل القرن السادس عشر قبل الميلاد، وقد أسفر البحث عن وجود كنيتين واربعة معابد اثنا عشر جعاني الى المهد القديم. أولها (١) بيت عشتاروت (٢) The House of Ishtarai وثانيها (٣) معبد دجون (٤) The Temple of Dagon وعثرت البعثة كذلك على أحجار نقشت عليها كتابات تختص ببعض ملوك مصر الاقدمين سوف أشير اليهم فيما يأتي

﴿ أسماء بيسان ﴾ واسم المدينة في العبرانية القديمة «بت شان» Bethshan ومعناها بيت

(١) راجع ما هو مكتوب عن بيسان في دائرة المعارف الانكليزية . الجزء الثالث و٢٤٣

(٢) راجع صموئيل الاول الاصحاح ٣١ العدد ١٥ . (٣) راجع الاخبار ١ الاصحاح ١٠ العدد ١٠

السلام أو الهدوء « ولكن لما احتلها اليونان غيروا اسمها هذا إلى Scythopolis أي « بيت السكيثيين »^(١) Scythians ولكنها لا تزال تعرف باسمها القديم ولا فدرمي ما لباحت على ذلك . ويقال أنها كانت تدعى مرة ما باسم^(٢) Myaa وهو الموضع الذي وضع فيه الإله باخوس Bacchus وأرضع من عرائس البحر Nymphs ولقد ظهر هذا الاسم على بعض النقود التي وجدت في المدينة

﴿ نبذة عن تاريخها ﴾ ذكر اسمها بين أسماء المدن التي احتلها تحتمس الثالث^(٣) عند ما احتل سهل ابن حامر سنة ١٤٧٩ ق.م وكانت أيضاً في قبضة المصريين على أيام ستي الأول سنة ١٣١٤ ق.م . وبقيت على هذه الحالة إلى أيام رمسيس الثالث سنة ١١٩٨ ق.م . وقد وُجد اسمها أيضاً مذكوراً على أحد دروج البردي Papyrus azastasi على أيام رمسيس الثاني . واستولى الاسرائيليون على المدينة في أيام الملك داود حوالي سنة ١٠٠٠ ق.م . وكان من نتيجة موقعة جلبوع^(٤) Gilboa المشهورة في التوراة أن علفت جيشا الملك شاول Saul وولده بعد هزيمتهما وقتلها على سور المدينة . ثم احتلها بعد ذلك المصريون على أيام الملك Shesnook سنة ٩٢٦ ق.م . وبقيت من ذلك الوقت في أيدي المصريين إلى أن افتتحها الآشوريون في القرن السابع قبل الميلاد

وفي المدة الواقعة فيما بين سنة ٣٠١ ق.م — سنة ١٩٨ ق.م دخلت المدينة في حكم البطالمة ولما جاء الرومان إلى فلسطين احتلوا المدينة سنة ٩٥ ق.م على أيام بومبي Pompey ومن ثم أصبحت أشهر مدينة بين المدن العشرة الرومانية في الشرق الأدنى المعروفة بـ Decapolis وأخذت تنمو وتتقدم فكثرت فيها المهارات والبنيات الكبيرة كالللاعب والملاهي وأصبحت تفوق مدينة القدس تجارة ونفوداً وسعةً وسكاناً . ولما جاء المسلمون فلسطين فتبعوها سنة ٦٣٦ ق.م . وفتحها صلاح الدين أيضاً سنة ١١٨٧ ميلادية مع عفريل Adrahala أو Fourbelet واغتصبها من أيدي الصليبيين . ويقال أنه لما خسر البيزنطيون موقعة اليرموك المشهورة راجعوا إلى ما وراء نهر الأردن وذلك بعد أن حصنوا بيسان حتى أنه لما تبعهم العرب^(٥) وجنحوا عليهم ماء اليرموك التي في المدينة ولكن العرب لم يعباؤا بذلك فهجموا عليهم وكان من نتيجة ذلك أن انهزم البيزنطيون شرهزيمة وتعرف هذه الموقعة بموقعة الفحل^(٦) Fahl وهو الاسم العربي لمدينة Pella القديمة وأصبح يُعرف هذا البرم فيما

(١) وهم قوم زحوا من الشمال إلى فلسطين حوالي سنة ٦٠٠ ق.م (٢) راجع ما هو مكتوب عن بيسان في كتاب The Historical Geography of the Holy Land by G. A. Smith
وج ٣٥٧-٣٦٣ (٣) راجع ما هو مكتوب عن بيسان في دائرة المعارف الانكليزية

(٤) راجع صموئيل الأول الأصحاح ٣١ العدد ١٢

(٥) راجع مقال المكتوب عن بيسان في مجلة The Museum Journal Dec. 1928 الصادرة في فيلادلفيا بنسبكا (٦) راجع ما هو مكتوب عن بيسان في The Hist. Geog. Holy Land أيضاً

بعد في التاريخ الاسلامي «يوم بيسان»

«بيسان ومكانها الأثرية» دلت الحفريات الحديثة أن تاريخ التل المذكور أي قبل الحسن يرجع إلى ما قبل ٣٠٠٠ سنة ق. م. وقد فصل علماء الآثار إلى معرفة هذا من الحفريات بئر بجانب التل والعثور على طبقات بناء مختلفة يرجع تاريخ كل واحدة منها إلى عصر معروف ، ويقع ضمنه معبد المدينة القديم والمدينة الكنعانية القديمة «The Canaanite City» والقلعة المصرية وهي قلعة مبنية من الآجر فيها غرف صغيرة وممرات طويشة . أما حجم البسات المبنية منها فتبلغ ^(١) ٦٥ × ١٤ × ٢١ بوسات . ووجد في هذه القلعة ثرواح من الحجارة حطت عليها نقوش تختص بكل من سيتي الأول ورعمسيس الثاني وتمثال لرعمسيس الثالث وكل هذه الاحجار ^(٢) مقطوعة من نوع من الرخام . أما النقش الحجري فللملك سيتي الأول

١- اللوحة الاولى : عوت عليها أسماء القبائل المتعددة التي حضمت له في غزواته عند دخوله فلسطين والكتابة على هذا الحجر صعبة القراءة جداً وتاريخها غير معين وهي تختلف كثيراً عن بقية النقوش الخطية التي أقامها هذا الملك ولا يمكن بواسطتها أن نبيّن السنة التي غزا فيها مدينة بيسان ومتى أقام الحجر المذكور فيها وعلى الإجمال فهذا النقش يُعطينا شرحاً لآباس به عن غزو سيتي لبعض من الشعوب الآسيوية كمشب «Itaw» رتيو» وهذا هو الاسم المصري للشعب الذي كان يسكن فلسطين في ذلك الوقت

أما في ما يرتبط بالساكر التي استخدمها هذا الملك في غزوة فلسطين فالحجر يبيّن أنها كانت «سأجرة معظمها من الجزائر الإيجية» «Aegean Islands» ومن غرب الأناضول»
٢- وهناك نقش خطي آخر (Stele No 2) وجدته ابنته الألف ذكرها وعليه منقوش صورة Seti I أيضاً عند ما كان شاباً متعلماً بالشارة الملكية المصرية «وهي رأس الحية» يُتقدم قرباناً إلى الإله هورس «Horus» وعلى هذا الحجر مكتوب قصة تشير إلى أن أهالي بيسان وكذلك أهالي رهوب «Bekot» قد طلبوا النجدة من الملك المُشار إليه لأمانتهم ضد أهالي «Hanmath» الحمة (وهي قرية واقعة على نهر اليرموك فيها ينابيع حارة . (راجع الخريطة) وأهالي قرية Peila (وهي قرية أيضاً تقع شرقي بيسان من الجهة الثانية للأردن) ، وكيف أنه عند ما وصل مجدو ^(٣) Megiddo كان قد أوفد نجدة ليعتجدين

(١) راجع مقال الدكتور Fisher عن بيسان في «مجلة متحف جامعة بنسلفانيا» عند ديسمبر ١٩٢٢
(٢) ان الشرح المطبوع لهذه الاحجار في هذا المقادير ماخوذ بعض من مقال خصوصي عن الدكتور Fisher الذي أحد اساتذة جامعة جونز هوبكنز Johns Hopkins

(٣) قرية عربية فيما بين من الآثار الرومانية واقعة على خط حيفا-سورفا وفيها كنيسة يهودية قديمة حفرت حولها في الصيف الماضي بنة ارسلت من قبل الجامعة المصرية بالقدس . ويروىها الأثر كنيون من القرنين يطلون الأستثناء . للاسراع في مهامها الساخت (٤) بلدة قديمة واقعة في سهل مرج ابن عامر كانت ذات شأن كبير في تاريخ فلسطين وتقوم بظفر فيها الآن بنة مرسلة من قبل جامعة شيكغو «Chicago»

في كتيبتين من كتاب حيث أحدهما Ba وهذه ذهبت لاحتلال يسان والثانية Amen وهذه ذهبت لإخضاع أهالي الحمة Hamunathi وبعد ذكر وقائع أخرى تنتهي الكتابة المتقوسفة بذكر انتصار ستي الأول (Seti I)

وهذا الحجر هو أهم الأحجار التي وُجِدَت في يسان من الجهة التاريخية لأنه يشرح لنا بعض الحوادث المدونة على جدران معبد الكرنك في مصر . ومعرفة لتاريخ فلسطين في المدة التي تقع فيها بين عصر تل العمارنة وعصر دخول الإسرائيليين إليها يتوقف بعضاً ما على ما هو مكتوب على هذا الحجر . وأول شيء يهر الإنسان في قراءة هذه المخطوطة الحجرية هو تاريخها المضبوط «السهة الأولى» الشهر الثالث من الفصل الثالث، اليوم العاشر» وهذا يعني أن ستي الأول كان قد غزا فلسطين في هذا التاريخ ابتداءً من توليه عرش القراعنة وهذا الحجر يدلنا على أن الحجر الأول للملك نفسه لم ينصب عند ما غزا فلسطين أوّل مرة بل كان قد نصب عند دخوله إليها في المرة الثانية

أما اسم يسان فوجدته مذكوراً مرتين عليه وتهجئة اسمها باللغة الهيروغليفية تدلّ أنها نفس المدينة المذكورة في رسائل تل العمارنة «Tel El Amarna letters»

٣ — اللوحة الثالثة (Stele No 3): أما حجر رمسيس الثاني فيقع بجانب الحجرين الأولين لسيتي الأول وكتابته تُقرأ بسهولة وتتألف من ٢٤ سطراً كلها تنطق بعظمة الملك الموصوف «كالأسد بين النعاج» و«كأنسر بين الطيور» و«كالملك الذي يهرب من أمامه الأعداء كقطاير الريش في الريح الشديدة» . وهذا الحجر هو أكبر الثلاثة حجماً وتاريخه «السهة التاسعة» الشهر الرابع من الفصل الثاني، اليوم الأول» . وقمة ذلك أنه في السنة الثامنة من حكم رمسيس الثاني كانت قد ثارت عليه بعض القبائل الشمالية وأغلبها من الحثيين فجاء وأخضعها بجيوشه وفتح يسان وأقام في قلمتها المصرية هذا الأثر التاريخي بعد سنة تقريباً

ومكانة هذا نقش الخطي من ناحية التاريخ تقع في السطر التاسع منه حيث يقول أن شعباً آسيوياً^(١) كان قد استخدمه الملك في بناء مدينة Ramses في دلتا النيل Delta وهذه هي البلدة المذكورة في العهد القديم من التوراة في سفر الخروج الإصحاح الأول العدد ١١ . ومن هنا يمكن أن نرى أن اليهود هم الذين كانوا قد استخدمهم رمسيس الثاني في بناء بيته

ويذكر أيضاً على الحجر أن الملك المذكور كان قد أعدّ مقبرة جميلة لجنوده في يسان ولقد دلت نتائج الحفر في هذه المقبرة على أن الأشياء التي وُجِدَت فيها يرجع تاريخها إلى ٢٠٠٠ سنة ق . م . وأنها مصرية الصيغة بكل مظاهرها كوجود زهرة التوتس Lotus والحبة الملكية المصرية ويرجح أن المساكن التي دفنت في هذه المقبرة كانت مستأجرة في الجيش المصري

(١) وهذا دليل قاطع يدلنا على أن الأمر الإسرائيلي في مصر كانت هي أيام هذا الملك يشير إلى ذلك ما هو مكتوب في الإصحاح الأول من سفر الخروج العدد ١١ بقوله «بنوا الفرعون مدبتي مخازن فيثوم ورمسيس»

ومجانب هذا الحجر وجد تمثال رعميس نفسه مكسوراً ويظهر على كتفيه شعار ملكي مصري آخر وهو نظروس الفرعوني *Jartoocha*

ويقول الدكتور *Albright* ^(١) ان هذه الاحجار الثلاثة هي ام ما وُجد من الآثار القديمة في فلسطين وسوريا لانها تدلنا على تاريخ هذه البلاد بوجهة اجمالية

وتدل البيوت المنتشرة حول القلعة المنخفضة بالبيكين *Scythians* الآف ذكرهم لهم لم يكونوا على شيء عظيم من الحضارة لان هذه الآثار تنطق بذلك . ولقد بقيت بيسان من ايام هؤلاء القوم على حالة مضعفة الى ان احتلها اليونان فتغيرت من مدينة حرب الى مدينة تجارة وسلام واصبحت تفوق بئارضها من هذا الوقت مجدها القديم وجبروتها العظيم ودخلت بذلك عهد نهضة جديدة . واول اثر يدل على هذه النهضة هو وجود معبد جميل في اعلى نقطة فيها عمر مجانبه على قطعتين من الرخام مكتوب عليها نقوش خطية مع ذكر اسم *Demetrius* وبعض من النقود الفضية مكتوب عليهما *Ptolemy Soter I* الملقب بـ *Polyarctes* ملك مكدونيا من سنة ٢٩٤ - سنة ٢٨٧ ق . م . ولرب ما لا نعرفه بقي بناء هذا المعبد ناقصاً الى ايام الرومان الذين اكثروه وقاموا بترميمه فيما بعد واعمدته ذات قواعد اتيكية *Attic* ورؤوس كورنتية وتدل النقوش واكاليق الوهر المنقوشة على جدرانها انه كان قد كرس الى الاله *Bacchus* ^(٢) ولما كان موقع بيسان الجغرافي ممتازاً جعلها الرومان قاعدة مدنهم العشرة *Decapolis* واصبحت مركزاً تجارياً كبيراً تمر بها القوافل والتجار في طريقهم الى شرقي الاردن

وكان يعيش بجانب المنصرين الروماني واليوناني في المدينة فريق من اليهود كان لهم شأن خطير في تاريخها ففي سنة ٦٥ ق . م . انحازوا الى جانب اخوانهم الوثنيين من سكان المدينة ضد بعض اشرار الذين قاموا في وجه الحكم الروماني في ذلك العصر ولكن هذا الجيل لم ينفعهم لان الوثنيين ظافروهم بعد هذه الحادثة بقليل وذهبوا منهم ما يقارب (١٣٠٠٠) نفس . ولما ظهرت النصرانية اصبحت بيسان مركزاً مسيحياً كبيراً وصار يسكنها مطران يترأس عدة كنائس فيها واول كنيسة بنيت فيها كانت في القرن الرابع لبلاد وكان موقعها على رابية وفي جوار هذه الكنيسة من الجهة الشمالية وُجد قبرسانت باثروفيلس *St. Paterophilus* اول اسقف مسيحي للمدينة . وفي ايام الاضطرابات التي قامت ضد المسيحيين سنة ٣٦١ ميلادية سُهبت الكنيسة المذكورة وحُرقت ولكن لما استتب الامر للمسيحيين ثانية بنوها بعد ان غيروا في هندستها الشيء الكثير . ولما دخل المسلمون فلسطين سنة

(١) رويدي تون الدكتور *Albright* كثير من علماء الآثار منهم الدكتور *S. Fisher* وهو الذي وجدها في بيسان سنة ١٩٢١ (٢) وهو اله الحربة عند اليونان

٦٣٧ ب. م. حولها الى جامع فأضافوا اليها بعضاً من النقوش الحطية الكوفية ولكنهم لم يغيروا شيئاً من اصل البناء . وتدل النقوش الكوفية التي وجدت في اماكن مختلفة ان هذا الجامع كان قد سقط وخرّب بواسطة الزلازل إما في سنة ٦٥٨ ب. م. او في سنة ٧١٣ ب. م. ولم تقم له قائمة فيما بعد لأن بعضاً من البيوت العربية للسكن امتدت اليه وتعرف هذا من كتابة كوفية منقوشة على طامود وجد حديثاً والذي كتبها رجل عربي زار المدينة في سنة ٧٨٤ م. v. وراجع ان بيسان كانت معروفة لسيد المسيح^(١) لان على مقربة منها كانت تقع بيت عبرة وهو الموضع الذي تصعد فيه وكان لا بد له ولتلاميذه ايضاً من اجتيازها عند ما كانوا يشرون بديهم الجديد في منطقة الجليل

ولم تتولد دعاتهم النصرانية في هذه المدينة الا في اواخر القرن الثاني للميلاد فاضطهد مسيحيها على ايام الامبراطور ديوقليطيانوس (٢٤٥ - ٣١٣ ب. م.) وتضعفت احوالهم ولكن عددهم اخذ يزداد بعد هذا وصار لهم كلمة مسروعة في شؤون الكنيسة وكان لهم ممثل في المجمع الكنائسي الذي عقد في نيقية Nicaea^(٢) سنة ٣٢٥ م. ولقد اصبحت فيما بعد مركزاً عظيماً للرهبنة المسيحية اخرجت رجالاً كانوا اصحاب سطوة في تاريخ الكنيسة الشرقية مثل القديس باسيليوس St. Basil والقديس كيرلس St. Cyril

سبب انحطاط بيسان الآن : — قلنا آنفاً انه في أثناء حصار العرب للمدينة سنة ٦٣٧ ميلادية كان قد اطلق الرومانيون عليهم اقية الماء التي كانت تقع في غرب المدينة فأحدث ذلك مستنقعات حول المدينة ولما دخلها العرب لم يوجهوا عتابة ما الى تجفيف هذه المستنقعات ومن ثم أصبحت للمدينة في خطر هو أشد وأعظم فتكاً من الجيوش الجرارة وذلك الخطر هو البعوض ناقل طفيلي الملاريا

وعند ما احتل الصليبيون هذه المدينة ، عرفوا ما لها من الشأن الخطير فبنوا فيها نكنات عسكرية وكان في هذه النكنات ترن غير أنه كان من نتيجة الملاريا الملمونة أن ترك هؤلاء المحل وذهبوا الى محل آخر على لبعة أميال من بيسان شمالاً سموه فيما بعد Belvoir ولكنهم بالرغم من هذا كانوا قد تركوا شردمة من عساكرهم في المدينة لم تقو فيما بعد على صد هجمات صلاح الدين سنة ١١٨٧ ميلادية

ومن ذلك الوقت اختفت بيسان بتاريخها العظيم من مسرح التاريخ العام لولا ظهورها بين أونةٍ وأخرى كسبح فقط في تمثيل بعض الادوار الصغيرة في تأريخ فلسطين على هذا المسرح داود . ت . فيشر

(١) راجع مقال آخر مكتوب في مجلة متحف جامعة بنسلفانيا عن بيسان The Museum Journal

(٢) راجع المقال نفسه في The Museum Journal XV—XVI عن بيسان

اللمحون الضائع

لمح لامل العبرني

يا أغاني الربيع ما أنا إلا مقطوع من قصيدتو ضائع لحنة
لم تله لي الايام من يتروني بعث لحي ، وكيف يبرغ شأنه ؟
أوبين المخور يكتمل الصور تال محال هدا وكنت اظنه ...
ادركت ذلك الطبيعة في الكورن ، فأغضت عنه ، فأجل حينه
وتناسه ، والذي تناسى في شروق الحياة يوشك بيته
من ذبول الآمال ، من غمر اليأس ، وطيف الآلام يشرده ذهنا
من ظلام الطرق ، من شبح الوهم ، وفقد الوجدان يطبق جفنه
يا اغاني الربيع ... عندك وزن لفتيد الذي تفسوي وزنه ؟
كأن يصول سماعك بالأمس من ليصحو من رقدة الموت فنه
فإذا العود لا يردد صوتاً وإذا القلب ليس يُسمع أنه
والربيع الجليل في وحة الاطلال ، ذاور ، فليس يحمل لونه
مُوحش في الصباح ، في وضع الشمس ، وليل الآلاء حين يحنه